جمهورية مصر العربية
جامعة الزقازيق
المعهد العالى لحضارات الشرق الأدنى القديم

مجلة
حضارات الشرق الأدنى القديم

دورية علمية محكمة

http://www.east.zu.edu.eg

الزقازيق

العدد الأول – السنة الأولى– ديسمبر 2010 م

رقم الإيداع ١٨٤٣٥ - الترقيم الدولى (٥٣٣٥ - ٢٠٩٠)

مطابع جامعة الزقازيق

ارتباط بعض المعبودات المصرية القديمة بالنيل وفيضانه

د. محمد فوزي الشايب

المعهد العالي لحضارات الشرق الأدنى القديم

ارتباط بعض المعبودات المصرية القديمة بالنيل وفيضانه

د. محمد فوزى الشايب
المعهد العالى لحضارات الشرق الأدنى القديم
جامعة الزقازيق

نشأت الديانة المصرية القديمة من اعتقاد الإنسان المصرى القديم بوجود قوى تحيط به وتؤثر فيه، وكوَّن فى مخيلته صوراً لها، استمدها من مظاهر البيئة حوله بما فيها من ظواهر طبيعية. فقد لاحظ المصرى القديم تلك الظواهر الطبيعية وما ينتاب بيئته أحياناً من عواصف شديدة مصحوبة بصواعق ورعد وبرق وسُحب، واعتقد أن هذه الظواهر ليست إلا معبودات كبرى، رأى أنها بعيدة عنه، وانتابه الشك فى قدرتها على مساعدته، ففكر فى معبودات أكثر قرباً منه، ووجد ضالته فيما يحيط به فى بيئته من كائنات حية، وكون منها معبودات تلعب دوراً فى حياته اليومية[1].

ورمز المصريون القدماء لكل معبود أو قوة خفية برمز حسى ملموس يعبر عن سر من أسرارها، أو يحمل صفة من صفاتها، واستوحوا أغلب هذه الرموز من بيئتهم، فبوحيٍ من تلك البيئة رمزوا على سبيل المثال بحيوية الكبش إلى معبودات الإخصاب، كما رمزوا بالفحل إلى الخصب وقوة البأس[2].

وقدس المصريون تلك الرموز البيئية جلباً لخيرها، أو درءاً لشرها، مع الوضع فى الاعتبار أنهم لم يقدسوا حيواناً لذاته، وإنما رمزوا به للمعبود أو لصفة من صفاته. فهم لم يحرموا ضرب أو ذبح البقر أو الكباش كما فعلت شعوب أخرى، ويلاحظ أنهم لم يقدسوا معبوداً باسم الحيوان أو الطائر الذى يرمز له، ومن أمثلة ذلك أنهم لم يقدسوا رمز الصقر باسمه الحيوانى "بيك" (*Bik*)، ولكن باسم "حور" (*Ḥr*)، ولم يقدسوا رمز التمساح باسمه الحيوانى "مسح" (*msḥ*)، ولكن باسم "سوبك" (*sbk*).

---

[1] أدولف إرمان: ديانة مصر القديمة، ترجمة: عبد المنعم أبو بكر ومحمد أنور شكرى، القاهرة، ١٩٥٢، ص٤- ٧ ؛ محمد إبراهيم بكر: من تاريخ مصر القديم، القاهرة، ١٩٨٢، ص٦٧.

[2] عبد العزيز صالح: الشرق الأدنى القديم، ج١، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨٢، ص٣٢٩-٣٣٠؛ التربية والتعليم فى مصر القديمة، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٦، ص٣٧٠-٣٧١.

وهكذا أصبح الكبش "خنوم" و"آمون"، والأرض "جب"، والسماء "نوت". وكان الغرض من ذلك أن يتجه الناس إلى المحسوس من المقدسات المادية فى بيئتهم، فهذا أقرب من التوجه إلى المعبود "رع" فى علاه، أو إلى "آمون" فى خفائه[1].

ويرى "إريك هورنونج" أن هذا الاختلاف بين الأسماء ومظاهرها يحذرنا من التسرع فى تسمية معبود ما "بمعبود القمر"، أو "معبود الأرض"، فطبيعة المعبودات الكونية المصرية هى أكثر ثراء وتنوعاً[2].

وقد عرفت مصر العديد من الظواهر الطبيعية التى ارتبطت بها المعبودات، كان أهمها النيل وفيضانه، واللذان كانا من أكثر الظواهر الطبيعية التى استرعت انتباه المصرى القديم، فالماء هو مصدر الحياه، وهو أصل كل شىء حى، وكان الماء هو الحدث الأزلى الذى "أخرج جميع الأشياء". وفى قصة "الأخوين" تم بعث قلب "باتـــا" إلى الحياة عندما تم غمسه فى ماء بارد، وانعكس هذا أسطورياً على الزوجين "نون" (*Nwn*)، و"نونت" (*Nwnt*)، حيث "نون" الخضم أو المحيط الأزلى الذى انبثق منه كل شىء، ولذلك اعتبروه "أبو الأرباب"، فمنه تخرج الشمس يومياً، وحيث "نونت" هى شقه الأنثوى، ويكوِّنان معاً زوجاً من ثامون "الأشمونين". وحسب مذهب "عين شمس" فإن العالم كان فى الأصل محيطاً أزلياً، هو "نون" الذى برز منه معبود الشمس "رع"[3].

وكان قدماء المصريين يعتقدون أن النيل مركز العالم، وأن منبعه هو بداية العالم، كما اعتقدوا أن فيضانه يأتى من العالم السفلى، ومصدره الماء الحى الموجود فى الأرض، وينبع من فتحتين بين صخور الشلال الأول.[4] وفيما يلى أهم المعبودات التى ارتبطت بالنيل وفيضانه.

---

[1] عبد العزيز صالح: الشرق الأدنى القديم، ص٣٣١؛ إريك هورنونج: ديانة مصر الفرعونية، الوحدانية والتعدد، ترجمة: محمود ماهر ومصطفى أبو الخير، مكتبة مدبولى، ١٩٩٥، ص٦٧؛ عبد الحليم نور الدين: تاريخ وحضارة مصر القديمة، القاهرة، ١٩٩٧، ص١١٢- ١١٣.

[2] إريك هورنونج: المرجع السابق، ص٦٧.

[3] عبد الحليم نور الدين: المرجع السابق، ص١١٦-١١٧؛ ياروسلاف تشيرنى: الديانة المصرية القديمة، ترجمة: أحمد قدرى، مراجعة: محمود ماهر، مطبعة هيئة الآثار المصرية، مشروع المائة كتاب رقم ٦، القاهرة، ١٩٨٧، ص ٢٤٧؛ مانفرد لوركر: معجم المعبودات والرموز فى مصر القديمة، ترجمة: صلاح الدين رمضان، ومراجعة: محمود ماهر، مكتبة مدبولى، القاهرة ٢٠٠٠، ص ٢١٥.

Kees, H., *Der Götterglaube im Alten Ägypten*, Berlin, 1987, 147, 215-216.

[4] جورج بوزنر وآخرون: معجم الحضارة المصرية القديمة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٦، ص ٣٤٤.

١ – المعبود "أوزير"

كانت بداية عبادته على أنه المعبود الممثل لخصب الأرض والنباتات. ولأن هناك علاقة خاصة بين الماء واهب الحياة وبين المعبود، لذلك كان نهر النيل يسمى "تدفق أوزير". وطبقاً لأسطورة "إيزيس وأوزيريس"، فقد استمال "ست" أخاه "أوزير" إلى أحد التوابيت، وقذفه فى النيل، وهكذا فإن غرق المعبود يرمز إلى فيضان النيل على الأرض الخصبة[١].

وقد حددت منابع النيل منذ زمن بعيد عند جزيرة "إليفنتين" (آبـــو، أو فيلة، أو جزيرة أسوان) شمال الشلال الأول، لذلك كان الاعتقاد بأن ماء التطهر مجلوب من هناك، كما أن المقبرة التى تضم جسد "أوزير" –أو على الأقل جزءاً منه، وهو الساق– كان يفترض أنها موجودة هناك، وبهذه الطريقة أضحى "أوزير" متحداً مع النيل والفيضانات[٢].

وباعتبار "أوزير" معبوداً للخضرة، اعتُبر أيضاً رباً لمياه النيل، بينما جسدت "إيسة" الأرض الخصبة، ومن ثم كان الفيضان اتحاداً لقطبى الوجود[٣]، وإذا ما أتى الفيضان فأوزير هو الماء الجديد[٤] الذى يكسب الحقول خضرة، وهو "الذى يجرى النيل من عرق أصابع يديه"، "وينبع الماء من قدميه"[٥].

وهكذا نرى العلاقة بين المعبود "أوزير" والماء بصفة عامة، وبينه وبين النيل وفيضانه بصفة خاصة؛ حيث كان "أوزير" يقارن بالنيل، وفى العقائد الجنائزية كان الماء المسكوب المستعمل فى القربان ذا صلة بفكرة الانتعاش والحياة؛ لأن التدفق الذى نتج من ماء "أوزير" قد حرر الإنسان من قهر الموت، وقد ظهر تصور ماء الحياة فى رمزية التطهر ليس الظاهرى منه فقط، بل أيضاً يقدم العفو المقدس[٦].

وقد اعتُبر نجم الجوزاء "أوريون"(Orion) روحاً للمعبود "أوزير"، وهو نجم ارتبط أيضاً بالفيضان، واعتُبر من معبوداته.[٧]

---

[1] مانفرد لوركر: المرجع السابق، ص٦٣.

[2] ياروسلاف تشرنى: المرجع السابق، ص ١٤٤.

[3] مانفرد لوركر: المرجع السابق، ص ٢١٥.

[4] Pyr.25,589.

[5] أدولف إرمان: المرجع السابق، ص٥٠.

[6] مانفرد لوركر: المرجع السابق، ص١٥١، ٢١٥.

[7] مانفرد لوركر: المرجع السابق، ص ٦٨.

٢ – المعبودة "ايسة":

حظيت المعبودة "إيسة" (إيزيس) بعلاقة بالنيل وفيضانه، لكونها زوجة المعبود "أوزير"، وقد ربط المصريون القدماء بين المعبودة "سبدت" (*spdt*) جالبة الفيضان وبين المعبودة "إيسة"، وهذا الربط فى رأى "عبد العزيز صالح" هو الذى أدى إلى التقليد الشعبى بتسمية ليلة الفيضان "ليلة النقطة"، أى الليلة التى دمعت فيها عينا "إيسة" على موت زوجها فجرى الفيضان من دمعتها[١].

٣ – المعبودة "سبدت"

اتفق بدء وصول مياه فيضان النيل إلى قرب مدينة "أون" (هليوبوليس، عين شمس، أو المطرية)، وربما عند جزيرة الروضة، حيث أقيم المقياس الكبير لقياس الفيضان، والتى كانت تسمى "بر حعبى" (*Pr-ḥꜤpy*)، أى (بيت حعبى)، أو (بيت النيل أو الفيضان)، وذلك مع ظهور نجم الشعرى اليمانية "سبدت" (*spdt*) ذى الضوء الساطع، وهو النجم "ألفـــا" (α) من المجموعة المعروفة باسم "كلب الجبار"، والذى عرف عند الإغريق باسم "سوتيس" (Sothis)، كما عرف باسم "سيريوس" (Sirius)[٢].

واعتبر المصريون القدماء النجم "سبدت" من المعبودات الكونية (Cosmic divinities)، وعبدوها اعترافاً منهم بسلطان القوى الطبيعية. وقد قدسه الإغريق أيضاً كمعبود لهم باسم "سوتيس"، والكلمة فى اليونانية واللاتينية مشتقة من الأصل المصرى، كما قدسه المصريون فى شكل امرأة بنجمة على رأسها[٣].

---

[1] عبد العزيز صالح: حضارة مصر القديمة وآثارها، ج١، القاهرة، ١٩٨٠، ص٢٠٠، ٣١٥، هامش (٤٠) .

[2] James, F., *An Introduction to Ancient Egypt*, London, 1983, 153.; Gardiner, A., *Egyptian Grammar*, 3rd edition, Oxford, 1978, 589; Wb. I, 3 ; Bell, B., *The Oldest Records of the Nile Floods*, G.J., 136 (1970), 569–573.

عبد العزيز صالح: المرجع السابق، ص٣١٥؛ محمد إبراهيم بكر: صفحات مشرقة من تاريخ مصر القديم، القاهرة، ١٩٨١، ١٣؛ فلاندرز بترى: الحياة الاجتماعية فى مصر القديمة، ترجمة: حسن محمد جوهر وعبد المنعم عبد الحليم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٥،١٢٧، ٢٤٣- ٢٤٤.

[3] Hays, W., *The Scepter of Egypt*, I, New York, 76; James, F., op. cit., 153; Faulkner, R., *A Concise Dictionary of Middle Egyptian*, Oxford, 1972, 223.

ألكسندر شارف: تاريخ مصر من فجر التاريخ حتى إنشاء مدينة الإسكندرية، ترجمة: عبد المنعم أبو بكر ومراجعة مراد كامل، القاهرة١٩٦٠، ص٣٥.

وكان هذا الربط بين ظهور نجم الشعرى اليمانية "سبدت" وبدء فيضان النيل فى الفجر المبكر من أول يوم فى أول شهر من السنة الشمسية (*wpt rnpt*) –حوالى ١٧ أو ١٩ يوليو من التقويم الحالى– قد جعل المصريين يسمونها "جالبة الفيضان"[١].

وبذلك يكون المصريون القدماء قد ربطوا بين دورة الشمس ودورة الشعرى، وكان اقتران الشمس بالشعرى (قرب جزيرة الروضة) لا يتكرر إلا كل ١٤٦٠عاماً[٢]، وعلى أساس تلك الظاهرة الطبيعية –التى ترتبط بفيضان النيل، ودورة الشمس، ودورة الشعرى– رتب المصريون القدماء تقويمهم على أساس أن السنة ٣٦٥ يوماً، مقسمة إلى اثنى عشر شهراً، وتنقسم بدورها إلى ثلاثة فصول ترتبط بفيضان النيل وبالزراعة والمناخ، وهو تقويم شمسى وقمرى فى آن واحد، أطلق عليه التقويم النيلى أو الزراعى أو القبطى[٣]. ويبدو أن تصوير المعبودة "سبدت" –معبودة الفيضان– بأنثى هو رمز للعطاء المستمر.

وكان المصريون –منذ عهد سحيق– يتمثلون المعبودة "إيسة" (إيزيس) فى النجم "سبدت" (الشعرى اليمانية) المبشر بالفيضان، وأطلق الإغريق على هذا النجم اسم "الكلب"، ولذلك أصبحت "إيزيس–سوتيس" تمتطى كلباً يلمع على رأسه النجم.

وكان المصريون فى عصر البطالمة يخلطون بين "إيزيس–سوتس"، و"ساتيس" (عنقت) معبودة "إليفنتين"[٤]، وكانت تلك النجمة –الثابتة والأشد لمعاناً– قد عُبدت كحامية من الفيضان، وكانت تعبد منذ عصر الأسرات الأولى فى شكل بقرة، ولكن المصريين سرعان ما أدركوا أنها مظهر للمعبودة "إيسة"[٥]، وهكذا ربط المصريون بين المعبودة "سبدت" والمعبودة "إيسة"[٦]

---

[1] عبد العزيز صالح، المرجع السابق، وص ٣١٥.

[2] Weigall, A., *Histoire de L'Égypte Ancienne*, Paris, 1968,7-9؛ عبد العزيز صالح: المرجع السابق، ص٢٠٠، ٣١٥– ٣١٦؛ آلـــن جاردنر: مصر الفراعنة، ترجمة: نجيب ميخائيل، القاهرة، ١٩٧٣، ص٨٤؛ محمد بيومى مهران: مصر والشرق الأدنى القديم، ج١، الإسكندرية، ١٩٨٨، ص ١٧٨.

[3] Parker, R., *The Calendar of Ancient Egypt,Chicago*, 1963, 53.

ولمزيد من التفاصيل حول ذلك التقويم وبدايته، ينظر: عبد العزيز صالح: المرجع السابق، ص ٣١٥–٣١٧ ؛ محمد ابراهيم بكر: المرجع السابق، ص ١٣–١٤؛ ألكسندر شارف: المرجع السابق، ص٧.

[4] أدولف ارمان: المرجع السابق، ص ٤٣٤؛ مانفرد لوركر : المرجع السابق ، ٦٨.

[5] إريك هورنونج: المرجع السابق، ص ٧٨.

[6] عبد العزيز صالح: المرجع السابق، ص٢٠٠، ٣١٥، هامش (٤٠).

وقد أصبحت المعبودة "سبدت" زوجة للمعبود "أوريون" (Orion)، وهو نجم الجوزاء، مثلما كان "أوزير" زوجاً لإيسة (إيزيس)[1]. وكان ظهور هذا النجم يشير لحصاد العنب، والذى يوافق شهرى يونيو ويوليو. وكان هذا النجم معبوداً باسم "ساح" (*s3ḥ*)، "صاحب الخطوات الواسعة"، "الذى يحضر كل يوم الطعام إلى المعبود "رع". وقد اعتبر هو وزوجته "سبدت" من الكائنات المقدسة، وجعل منهما المصريون معبودين عظيمين[2].

وقد أشار العلماء إلى أن عبادة "الشعرى" كانت شائعة عند العرب قبل الإسلام، خاصة فى قبيلتى "قيس" و"خزاعة"؛ لأن هذا النجم كان يقطع السماء عرضاً دون غيره من النجوم[3]. وورد ذكر هذا النجم فى القرآن الكريم: (وَأَنَّـــهُ هُـــوَ رَبُّ الشِّعْرَى)[4]. واعتبر الساميون الشماليون نجم الشعرى (أو الزهرة) أنثى، وأطلقوا عليه اسم "عشتارة"، و: "عشترة"، أو "عشتروت". واعتبره اليمنيون القدماء ذكراً، وأطلقوا عليه اسم "عشتر"، واعتبروه ولداً للشمس والقمر. أما الإغريق فقد ربطوا بينه وبين نجم "أوريون" فى برج "الجبـــار"[5].

ويرى البعض أن أسماء الكواكب والنجوم تبين الاعتقاد فى أنها مظاهر للمعبود "حور" (حورس)، والذى كان معبوداً للسماء منذ فجر التاريخ على هيئة صقر ناشر جناحيه، واعتبرت عيناه الشمس والقمر[6]، وتظهر تلك الكواكب والنجوم كمعبودات فقط فى المناظر الفلكية[7].

وقد خلط البعض بين المعبودة "سبدت" (*spdt*) والمعبود "سبدو" (*spdw*) الذى كان يسمى أيضا "سبت" (*spt*)[8]، وهو معبود الإقليم العشرين من أقاليم الدلتا "سبدو"، وعاصمته "بر-سبدو" (صفط الحنا، مركز أبو حماد بمحافظة الشرقية)[9].

---

[1] أدولف إرمان: المرجع السابق، ص٢٨.

[2] Kees, H., op., cit, 112, 115.; Pyr.820, 115, 2051 ؛ أدولف إرمان: المرجع السابق، ص ٢٧- ٢٨؛ عبد العزيز صالح: المرجع السابق، ص٣١٥، هامش ٣٩.

[3] فرانسوا دوماس: آلهة مصر، ترجمة: زكى سوس، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٦، ص٣٣؛ لسان العرب لابن منظور، "شعر".

[4] القرآن الكريم، سورة النجم، آية ٤٩.

[5] عبد العزيز صالح: المرجع السابق، ص٣١٥، هامش (٣٩).

[6] مانفرد لوركر: المرجع السابق، ص ١١٩.

[7] إيريك هورنونج: المرجع السابق، ص ٧٨.

[8] Hayes, W., op.cit, 76; Wb. 17, 112; *LÄ*, V, 1109, Faulkner, R., op.cit, 223.

[9] Helck, W., *Die Altagyptischen Gaue*, Wiesbaden, 1974, 205 ff ; Beitak, M., *Tell-el-Dab^{c}a*, II, Wien, 1975, 153-171.

٤ – **المعبود "حعبى"**

كان النيل يسمى "إترو" (*Itrw*)، أى (النهر)، أو (*Itrw ꜥ3*)، أى (النهر العظيم)، وكان له معبوداً يدعى "حعبى" (*ḥꜥpy*). على أنه يجب التفرقة بين النيل كمصطلح طبوغرافى، وبين كلمة "حعبى" التى لم تكن تعنى مجرى مياه مقدس، وإنما تعنى الروح التى تكمن وراء هذا النهر، أو تلك القوة الخفية التى تسيره وتفيض بخيره على أرض مصر[١]. فهو فيضان المياه النابعة من "نون"، الماء الأزلى أو الماء الأول (أصل الرطوبة)، فكان الفيضان يعنى مجئ "حعبى"[٢].

وقد لقبه المصريون القدماء فى بعض أناشيدهم "أبو المعبودات"، وهذا اللقب على ما يبدو استعير من المعبود "نون" رب الماء الأزلى، حيث ذكر فى بعض النصوص الدينية أنه ينبع من هذه المياه الأزلية[٣]. وكان ذلك المعبود المائى للفيضان هو ضامن الحياه كلها، فقد ذكر فى بعض الأناشيد أو التراتيل: "حعبى أبو المعبودات ...، الذى يغذى ويطعم ويجلب المؤن لمصر كلها، والذى يهب كل فرد الحياة فى اسم قرينه، ويأتى الخير فى طريقه، والغذاء عند بنانه، ويجلب مجيئه البهجة لكل إنسان، ...، أنت الذى خلقت نفسك من نفسك، دون أن يعرف أى فرد جوهرك"[٤].

وقد أعطى المصريون لحعبى بعض صفات أوزير: (*من يرى فيضانه تدب الرعشة فى أوصاله، أما الحقول فهى تضحك، والشواطئ تكسوها الخضرة، وتتساقط هدايا هذا المعبود، وتعلو الفرحة وجوه البشر، أما قلوب المعبودات فتخفق من السعادة*)[٥].

وذكروا أيضاً: (*هو الذى يذهب فى وقته ويأتى فى وقته، الذى يحضر المأكل والمؤن، رب الماء الذى يجلب الخضرة، يتفانى الناس فى خدمته، تحترمه المعبودات، هو معبود صغير خلقه "رع" من أحسن عناصره*)[٦].

---

[1] جورج بوزنر وآخرون: المرجع السابق، ص٣٤٥،؛ محمد ابراهيم بكر: المرجع السابق، ص٣٤٥؛ رمضان عبده على: حضارة مصر القديمة، منذ أقدم العصور حتى نهاية العصور الوطنية، ج١، المجلس الأعلى للآثار، مشروع المائة كتاب (٤١)، القاهرة (د.ت)، ص٩١.

[2] جورج بوزنر وآخرون: المرجع السابق، ص ٣٤٥.

[3] أدولف إرمان: المرجع السابق، ص ١٨.

[4] جورج بوزنر وآخرون: المرجع السابق، ص ٣٤٥.

[5] أدولف إرمان: المرجع السابق، ص ١٨.

[6] أدولف إرمان: المرجع السابق، ص ١٨.

ولعل الاعتقاد بأن الفيضان يأتى من العالم السفلى –وهو عالم المعبود أوزير– قد ربط بين المعبودين، وهناك التباس بين "أوزير" (الجسم الكونى، الذى تسبب رطوبة جسده ارتفاع المياه)، وبين "حعبى" الذى هو جزء من "نون"، أصل الرطوبة[1].

وقد صور المصريون القدماء "حعبى" – كما يظهر من خلال تماثيله وصوره المنقوشة على جدران المعابد– على هيئة بشرية تجمع بين جسم الرجل والأنثى (Hermaphrodite)، إذ صور على هيئة رجل بدين ذى بطن مترهلة علامةً على الغذاء الوفير، وله ذقن وشعر طويل مسدل، وله ثدى أنثى مترهل رمزاً للعطاء المستمر، وعلى رأسه حزمة من نبات البردى. وبذلك كان "حعبى" يجمع بين خصب الرجل وخصب الأنثى فى آنٍ. ووجود الذكر والأنثى ضرورى لكل أنواع الخصوبة، فهو بهذه الصورة أبٌ للآباء، وأمٌ للأمهات[2]. ولعله قد وُهب الثنائية الجنسية على غرار بعض المعبودات التى ارتبطت بعملية الخلق.

وقد تبوأ "حعبى" منصب الخادم بين المعبودات الأخرى، فقد تم تصويره على جدران المعابد عارياً أشبه بالبحَّار أو فى هيئة "صياد السمك" فى المستنقعات، يحمل مائدة تتدلى منها فروع نباتات معلقة بها أسماك النيل، ويقدم خيراته أو منتجاته للمعبودات الرئيسية فى هذه المعابد. و هذه الهيئة قد استعارها من "حعبى" جميع المعبودات الممثلة لخصوبة أرض مصر[3].

ويوجد فى اللغة المصرية لفظ يرادف "حعبى" وهو لفظ "بعحى" ($P^{c}\underline{h}$)، والذى كان يستخدم للدلالة على معانى (الفيض، والوفرة، والخير)[4].

وكان "حعبى" يعبد بصفة خاصة فى جزيرة "إليفنتين" وجبل السلسلة، وكلا المنطقتين من مناطق المياه الثائرة بسبب الشلال الأول والدوامات المائية بالنهر، وكان يعتقد أنه يقطن كهفاً تتدفق منه مياه النهر التى يطلقها هذا المعبود أسفل الصخور الجرانيتية للجندل الأول جنوبى أسوان، وهذا الكهف كانت تحرسه الثعابين. وعلى مقربة من "أونو" (فى جزيرة الروضة) كان يوجد "بيت حابى" (بر–حعبى)، حيث مقياس النيل الذى ينظم الفيضان، وكانت الطقوس الدينية

---

[1] جورج بوزنر وآخرون: المرجع السابق، ص ٣٤٥.

[2] مانفرد لوركر: المرجع السابق، ص٢٤؛ اريك هورنونج: المرجع السابق، ص ١٧٤؛ ياروسلاف تشرنى: المرجع السابق، ص ٢٣٨؛ Pyr., 1553. ; Kees, H., op.cit., 167, 285.

[3] أدولف إرمان: المرجع السابق، ص ١٨؛ جورج بوزنر وآخرون: المرجع السابق، ص٣٤٥؛ فرانسوا دوماس: المرجع السابق، ص٤٦.

[4] رمضان عبده على: المرجع السابق، ص٩١؛ فرانسوا دوماس: المرجع السابق، ص١٣١.

لهذا المعبود تقام كل عام عند هذين الموضعين وقرب مقاييس النيل الأخرى، خصوصاً عند سد جبل السلسلة[1].

وكان الكهف أو المغارة الكبيرة مرتبطاً بالنموذج الأول "الأم العظيمة"، فكانت الصورة المؤنثة للفراغ الأجوف مكان الميلاد والموت. وفى "نجفت-خنت" -"ليكوبوليس"- (الإقليم الثالث عشر من أقاليم الصعيد، وعاصمته "ساوتى"، وهى أسيوط الحالية)- حملت منطقة الجبانة اسم "فم الكهف". كما أن مياه النيل -أصل الحياة- تنبع من كهف ارتبط فى "متون الأهرام" بقاعة العدالة، وهى المكان الذى تعقد فيه محكمة الموتى[2]، ولعل ذلك يوضح الارتباط بين المعبودين "حعبى" و"أوزير"، فقد أخذ "حعبى" أحياناً مكانة "أوزير".

ومن الملاحظ أن ما يسمى "معبودات النيل"، والتى اصطلح على تسميتها حديثاً بأشكال الخصوبة، تجسد مفاهيم الوفرة ومسبباتها وحالاتها، وأشهرها هو الفيضان، وكان على تلك المعبودات إحضار القرابين للملك فى معبده الجنائزى، أو إحضارها مع الملك إلى المعبودات فى معبد العبادة، ويندر التعبير عنها بكلمة معبودات، وشكل الخصوبة الوحيد الذى له وجود مستقل كمعبود هو حعبى "الفيضان"[3].

وكان "حعبى" من المعبودات التى لا تعرف حدوداً إقليمية، ولا تقتصر على مكان معين أو جماعة بعينها، فقد قدسه المصريون فى أماكن عديدة، واعتادوا تقديم القرابين له، وألفوا الأناشيد أو التراتيل لتمجيده[4].

وقد أدرك المصريون أن الفيضان ظاهرة بيئية مصرية محلية، فقد ذكرت نصوص المعابد البطلمية الجملة التى تربط الفيضان بمصر، إذ تذكر: "حعبى (فيضان) مصر" (*ḥꜥpy n Kmt*)، و: (*ḥꜥpy n bꜣkt*). ويرى "رمضان عبده" فى تكرار هذه الجملة ما يشير إلى إدراك المصريين لأهمية ظاهرة الفيضان المؤثرة عليهم وعلى أرضهم وخيراتها، ولعلها الأصل فى عبارة "هيكاتيوس المليتى": "مصر هبة النيل"، والذى زار مصر فى أواخر القرن السادس ق.م،

---

[1] جورج بوزنر و آخرون: المرجع السابق، ص ٣٤٥-٣٤٦؛ مانفرد لوركر: المرجع السابق، ص ١٠٩-٢٠٧.

[2] مانفرد لوركر: المرجع السابق، ص ٢٠٧؛ .Pyr.1551 .

[3] إريك هورنونج: المرجع السابق، ص ٧٦- ٧٧.

[4] أدولف إرمان: المرجع السابق، ص ١٨؛ محمد إبراهيم بكر: المرجع السابق، ص ٤٨.

ونسبت العبارة بعد ذلك إلى المؤرخ الإغريقى "هيرودوت الهليكارناسى"، الذى زار مصر فى أواخر القرن الخامس ق.م[1].

٥-المعبود "خنوم"

ظهر هذا المعبود منذ عصر الأسرات المبكر، وكان مركز عبادته فى عصر الدولة الحديثة متمركزاً حول جزيرة "إليفنتين" شمال الشلال الأول، واتخذ شكل الكبش حتى بداية الدولة الحديثة، ثم ظهر فى هيئة إنسان له رأس كبش خلال تلك الدولة[2]. وقد اعتُبر معبوداً للمطر الغزير أو الطوفان، وربما ارتبط اسمه بكلمة "ينبوع"[3].

وبالرغم من أن مقره الرئيس المقدس كان فى الجزء الجنوبى من جزيرة "إليفنتين"، وبما يوحى أنه كان معبوداً محلياً لتلك الجزيرة التى تمثل الحدود الجنوبية لمصر، لكننا لا نستطيع رؤية أى ارتباط خاص بهذه الجزيرة، فكما يرى "إريك هورنونج" أن المعبودات ذات الأساس المحلى كانت تكتسب انتشاراً أوسع بالتدريج من خلال التناوب بين أدوار القوى السياسية والدينية، ولكن يمكن رؤية عكس ذلك صحيحاً عند معبودات منطقة الشلال، حيث نرى "خنوم" يذكر بشكل مستمر ولافت للنظر فى الكتابات المنقوشة خاصة الأسماء الشخصية[4].

وكان المعبود "خنوم" يعتبر حارساً لمنابع النيل فى منطقة الشلال الأول و"إليفنتين"، وفى جزيرة "سهيل" (جنوبى أسوان)، وهو الذى يجلب الفيضان إلى مصر[5].

وقد اشتق اسمه من الفعل "خنم" (*ḫnm*) بمعنى (يخلق)، مما يشير إلى أنه كان معبوداً خالقاً منذ البداية[6]، ولعل كونه معبوداً خالقاً يفسر علاقته بالفيضان، فلا شك أن فيضان النهر من ضمن مخلوقات المعبود المسؤل عن الخلق.

وكان من ضمن ألقابه "خالق البشر"، و"أبو المعبودات منذ البداية"[1]، واللقب الأخير كان من ضمن ألقاب المعبود "نون" (رب الماء الأزلى)، والمعبود "حعبى" (رب الفيضان).

---

[1] رمضان عبده: المرجع السابق، ص ٨٤- ٨٥؛ عبد العزيز صالح: المرجع السابق، ص٨٤.

[2] مانفرد لوركر: المرجع السابق، ص ٢٦ ، ١٢٩؛ إريك هورنونج: المرجع السابق، ص ٢٨٠.

[3] مانفرد لوركر: المرجع السابق، ص ٦٨.

[4] مانفرد لوركر: المرجع السابق، ص ٦٨.

[5] مانفرد لوركر: المرجع السابق، ص ١٢٩.

[6] ياروسلاف تشرنى: المرجع السابق، ص ٢٤٠.

وفى "إسنا" بصعيد مصر كان "خنوم" خالقاً لجميع الكائنات، وكان تجسيداً للعالم أجمع، فقد توحد مع السماء "نوت"، والهواء "شو"، والأرض "جب"، ومع معبود العالم الآخر "أوزير"، وهذا يفسر تمثيل "خنوم" بأربعة رؤوس كباش[٢].

والمعبود "خنوم" رب الشلال الأول بكهوفه الأسطورية التى كانت تعد منابع الفيضان[٣]. ونلاحظ التشابه بين المعبودين "خنوم" و"حعبى" فى الارتباط بالكهوف كمنابع للنيل، وأيضاً الارتباط بأوزير؛ ففى العالم الآخر "إمى دوات" سميت الساعة السابعة من الليل "كهف أوزير" إشارة إلى نقطة التحول[٤].

ويرى البعض أنه لما انتشرت عبادته كمعبود خالق للحياة والكائنات الحية، فقد اتخذ لنفسه وظائف ثانوية كحارس لمنابع النيل حيث كان يحكم هناك بالاشتراك مع المعبودتين "ساتت" و"عنقت"، حيث كوَّنوا ثالوثاً لهذه المنطقة[٥].

ويرى "تشرنى" أن "ساتت" و"عنقت" كانتا زوجتين للمعبود "خنوم"[٦]، بينما يرى "مانفرد لوكر" أن المعبودة "عنقت" كانت زوجة "خنوم"، وأُماً للمعبودة "ساتت"[٧].

وقد اعتبر المعبود "خنوم" فى جزيرة "إليفنتين" (سيداً للمياه الباردة) التى تنبع من هذا المكان[٨]. وتعددت المعبودات التى باسم "خنوم"، ففى "أبيدوس" نجد أن تاسوعها تألف من معبودين باسم "خنوم"، كما أن جزيرة "إليفنتين" كان يسكن بها معبودات كثيرة تحمل هذا الاسم[٩].

وعندما غزا ملوك الدولة الوسطى بلاد النوبة نجدهم قد تركوا لها معبودها "ددون"، وضموا إليه "خنوم" معبود الشلالات[١].

---

[1] ياروسلاف تشرنى: المرجع السابق، ص ٢٤٠.

[2] مانفرد لوركر: المرجع السابق، ص ١٢٩.

[3] إريك هورنونج: المرجع السابق، ص ٧٧.

[4] مانفرد لوركر، المرجع السابق، ص ٢٠٧.

[5] جورج بوزنر وآخرون: المرجع السابق، ص ١٥٢- ١٥٣.

[6] ياروسلاف تشرنى: المرجع السابق، ص ٢٤٠.

[7] مانفرد لوركر: المرجع السابق، ص ١٨٦.

[8] Urk., I, 110-111.

[9] أدولف إرمان: المرجع السابق، ص ٥٤، ١٠٥ ؛ Urk. I, 69.

وكانت منطقة الحدود بين بلاد النوبة ومصر –فيما يلى الشلال الأول جنوباً– تدين فى بداية الأمر للمعبود "خنوم" الذى كان حامياً لمنابع النيل فى "إليفنتين"، وقد ذكر أن الملك "جسر" (زوسر، مؤسس الأسرة الثالثة) –اعتماداً على نصيحة الحكيم "إمحتب"– قد وهب لهذا المعبود منطقة المراحل الاثنتى عشرة على ضفتى النهر بكافة مواردها، ليفيض من جديد نيلاً غزيراً على مصر، وذلك فى السنة السابعة من المجاعة[٢].

وقد ورد ذكر المعبود "خنوم" فى نص المجاعة فى "جزيرة سهيل" جنوبى أسوان، والذى يتحدث عن مجاعة حدثت بمصر فى العام الثامن عشر من حكم الملك "نثر–رخت" (جسر)، بسبب انخفاض مياه النيل بشدة لمدة سبع سنوات، وأن الملك "جسر" رأى فيما يرى النائم المعبود "خنوم" خالق البشر من صلصال يحدثه بقوله: "أنا خنوم خالقك ...، أنا الذى أوجدت اليابسة ...، أنا نون العظيم الموجود منذ الأزل، أنا الفيضان الذى يرتفع حينما يشاء". ولما أفاق الفرعون آمن بأن "خنوم" هو صاحب السيطرة فى منطقة "آبو" (إليفنتين–جزيرة أسوان)، فأمر بأن توقف بعض خيرات المنطقة لصالحه، كما أصدر مرسوماً يحدد دائرة نفوذ ذلك المعبود باثنى عشر فرسخاً بكل ما فيها من أراضٍ زراعية وصحراوية، ومجرى النهر[٣].

وقد كتب النص بصورته الحالية فى عهد البطالمة، ورغم الاختلاف حول النص من قبل العلماء، فمنهم من يرى أن القصة بحذافيرها مختلقة من قبل كهنة المعبود "خنوم" دعايةً لمعبودهم[٤]، بينما يرى آخرون أن الأسلوب الذى كتبت به القصة لا يخلو من تعبيرات ترجع إلى عصر الدولة القديمة. ويحتمل أن للقصة أصل قديم تعرض للتلف بالتقادم، فأمر أحد الملوك

---

[1] أدولف إرمان: المرجع السابق، ص ٣٩١–٣٩٢.

[2] أدولف إرمان: المرجع السابق، ص ٣٩٦–٣٩٧.

[3] عبد العزيز صالح: مصر والشرق الأدنى القديم،ج١، ط٣، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨٢، ص ١٠٣؛ رمضان عبده على: رؤى جديدة فى تاريخ مصر القديمة، ج٢، المجلس الأعلى للآثار، القاهرة، ٢٠٠٦، ص ١٣٢؛ عبد الحليم نور الدين: تاريخ وحضارة مصر القديمة، ط١، القاهرة، ٢٠٠٩، ص ١٩٤.

Barguet,P., La Stele de la Famine a Séhel, *Bde*, 24 (1953), 39ff.; Vandier,J., *La Famine dans L'Egypte Ancienne*, Le Caire, 1936, 132-139; Wilson, J., The Tradition seven Lean Years in Egypt, *ANET*, 1966, 31-32.

[4] نيقولا جريمال: تاريخ مصر القديمة، ترجمة: ماهر جويجاتى، مراجعة: زكية طبوزادة، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة،١٩٩١، ص ٨٠– ٨١؛ رمضان عبده على: المرجع السابق، ص ١٣٢.

البطالمة (بطليموس الخامس، أو العاشر) بإعادة نقشه من جديد، ويرى "عبد العزيز صالح" أن هذا التفسير هو التفسير المقبول حتى الآن[١].

وفى العصر المتأخر نجد المعبود "خنوم" قد أصبح صقراً برأس كبش، وهو شكل من الأشكال الخليطة للمعبودات المختلفة فى ذلك الوقت[٢].

٦ – المعبودة "عنقت"

حملت العبودة "عنقت" لقب "سيدة النيل"[٣]، وكانت معبودة منطقة الشلال الأول جنوبى أسوان، وكان لها معبداً فى "جزيرة سهيل" فى المنطقة نفسها جنوبى أسوان. وقد عُبدت بصفة خاصة فى جنوب بلاد النوبة[٤]، وكانت تضع على رأسها تاجاً من الريش، وكونت منذ الدولة الحديثة ثالوثاً مع المعبود "خنوم" والمعبودة "ساتت" لمنطقة "إليفنتين" (آبو)، حيث كانت زوجة "خنوم"، وأُما للمعبودة "ساتت". وكان حيوانها المقدس الذى يرمز إليها هو الغزال أو التيتل (Antilope)، وهو نوع من البقر الوحشى أو الوعل[٥]. ولعل اقتران "عنقت" بالمعبود "خنوم" كزوجة له، يؤكد ارتباطها بالنيل والفيضان.

٧ – المعبودة "ساتت"

حملت "ساتت" لقب "سيدة آبو" (إليفنتين) منذ الدولة الوسطى، وهى التى كانت تمنح المياه الباردة عند الشلال[٦]، كما حملت لقب "ربة جزيرة سهيل"، و"سيدة النوبة"، و"سيدة مصر"[٧]، وحملت أيضاً لقب "المعبودة العظيمة"، و"معبودة الشلالات"[٨].

---

[1] عبد العزيز صالح: حضارة مصر القديمة وآثارها، ط١، ص ٣١٣.

[2] أدولف إرمان: المرجع السابق، ص ٣٦٣-٣٦٤.

[3] مانفرد لوركر: المرجع السابق، ص٥١.

[4] مانفرد لوركر: المرجع السابق، ص ١٨٦.

[5] مانفرد لوركر: المرجع السابق، ص ٩٢، ١٨٦ ؛ ياروسلاف تشرنى: المرجع السابق، ص ٢٤٤؛ أدولف إرمان: المرجع السابق، ص ٤٢.

[6] مانفرد لوركر، المرجع السابق، ص ٩٢، ١٤٩.

[7] ياروسلاف تشرنى: المرجع السابق، ص ٢٤١.

[8] إريك هورنونج: المرجع السابق، ١٩١.

وقد صورت فى هيئة التيتل (البقر الوحشى) أو الوعل أو فصيلة من فصائل الغزال، وعلى هيئة بشرية فى صورة امرأة ترتدى التاج الملكى للوجه القبلى، وعلى جانبيه قرنا "التيتيل" الملويين[1].

وهناك علاقة بين "التيتل" والماء فى الرموز المصرية القديمة، ولعل هذا مرتبط بكون الغزال –وهو نوع من أنواع التياتل– مقدساً للمعبودة "عنقت" معبودة الشلالات، وفى جنوب الجزيرة العربية كان "التيتل" رمزاً للمعبود "عطار" (Attar) الذى يجلب المطر[2]. وارتبطت القطة المستأنسة أيضاً بهذه المعبودة، واعتبرت حيواناً مقدساً لها[3].

وكونت المعبودة "ساتت" –مع المعبود "خنوم" والمعبودة "عنقت"– ثالوث "آبـــو" (إليفنتين) المسؤل عن المياه الباردة لمصادر الفيضان[4]، وقيل أنها كانت زوجة ثانية لخنوم، أو أنها ابنة المعبودة "عنقت" كما سبق الذكر. وعندما توحد "خنوم" مع المعبود "رع"، أصبحت "ساتت" عين "رع". وطبقاً "لنصوص الأهرامات" كانت تقدم الماء إلى المتوفى من أجل تطهيره[5]. وقد امتدت عبادتها إلى الجزر المجاورة لجزيرة (إليفنتين)[6].

٨ – المعبود "سوبك"

كان مركز عبادة المعبود "سوبك" فى مدينة "كروكوديلوبوليس" (مدينة التمساح– الفيوم حالياً)، وفى المناطق المجاورة لبحيرة الفيوم (قارون)، وفى "كوم أمبو" فى مصر العليا، وقد كرست له العديد من المعابد، تمتد من مستنقعات الدلتا إلى شواطئ السلسلة والجبلين. وكان "سوبك" معبوداً للماء، ونشأ النيل من عرقه، وهو الذى جعل الكلأ أخضر، وبهذا يكون قد أخذ بعض الصفات الشخصية للمعبود "أوزير"[7].

---

[1] مانفرد لوركر: المرجع السابق، ص٩٢، ١٤٩؛ ياروسلاف تشرنى: المرجع السابق، ص ٢٤١.

[2] مانفرد لوركر: المرجع السابق، ص٩٢، ١٤٩.

[3] مانفرد لوركر: المرجع السابق، ص ٢٠٠.

[4] ياروسلاف تشرنى: المرجع السابق، ص ٢٤١؛ إريك هورنونج: المرجع السابق، ص ٢٨٦.

[5] مانفرد لوركر: المرجع السابق، ص ١٤٩؛ Pyr., 1116.

[6] ياروسلاف تشرنى: المرجع السابق، ص ٢٤١؛ إريك هورنونج: المرجع السابق، ص ٢٨٦.

[7] مانفرد لوركر: المرجع السابق، ص ١٥٩؛ جورج بوزنر وآخرون، المرجع السابق، ص ١١٢.

وكان يعتقد أنه خرج من المياه الأصلية الأزلية "نون"، واعتبر "سيداً للجزر الطافية"[1]. وقد عبد "سوبك" على هيئة التمساح أو رجل برأس تمساح، واندمج فى عصر لاحق مع المعبود "رع" تحت اسم "سوبك رع"[2].

كان "سوبك" فى البداية حليف "أوزير"، حيث ذكر أنه –بعد مقتل "أوزير"– أخذ يغوص فى النهر ليلتقط منه العناصر المتفرقة من جثمانه[3].

كما كان "سوبك" هو الشمس والأرض والمياه فى آن واحد[4]. وفى الدلتا عُبد فى مدينة "سايس" (صا الحجر)، حيث يعطى الحياة للنباتات فوق الشاطئ، واعتبر هناك ابناً لمعبودة المياه "نيت"، وهو الذى يضحك عندما يأتى الفيضان. وقد صورت المعبودة "نيت" وهى ترضع تمساحاً من ثديها، ولعل عبادته فى مدينة "أمبوس"، حيث اعتاد الناس الاحتفال بظهور الفيضان كل عام، ما يؤكد أنه كان معبوداً للمياه والفيضان[5]. وبصفة عامة كانت المياه تقع تحت سيطرة المعبودات التى رمزها فى شكل تمساح[6]. وقد انتقلت عبادة "سوبك" إلى الإغريق، وأسموه "سوخوس" (Suchos)، واعتبروه سيداً للمياه الممتدة[7].

---

[1] جورج بوزنر وآخرون: المرجع السابق، ص ١١٢.

[2] ياروسلاف تشرنى: المرجع السابق، ص ٢٤١.

[3] فرانسوا دوماس: المرجع السابق، ص ٤٦.

[4] جورج بوزنر وآخرون: المرجع السابق، ١١٢.

[5] أدولف إرمان: المرجع السابق، ص ٥٥.

[6] إريك هورنونج: المرجع السابق، ص ٧٧.

[7] إريك هورنونج: المرجع السابق، ص ٢٨٩.

الخـــاتمة

نخلص من هذا البحث إلى أن أهمية النيل وفيضانه قد انعكست على الديانة المصرية القديمة فى تعدد المعبودات التى ارتبطت بهذه الظاهرة الطبيعية، والتى كان لها جانبان، أحدهما خير، وهو أن النيل يجلب الخير لأرض مصر، والآخر شر فى حال قصور هذا الفيضان، وما يؤدى إليه من مجاعات وأوبئة، أو في حال الفيضانات الشديدة الارتفاع، وما تؤدى إليه من كوارث ودمار. وهكذا قدس المصريون هذه المعبودات جلباً لخيرها، أو درءاً لشرها.

ونلاحظ أن غالبية هذه المعبودات ارتبطت أيضاً بالخصب والخصوبة رمزاً للنيل وفيضانه الذي يخصب أرض مصر، وارتبط اثنان من هذه المعبودات –وهما "حعبى" "وخنوم"– بالكهوف الأسطورية التي كان يعتقد أنها منابع النيل. كما أن المعبود "سوبك" كان رمزه التمساح، نظراً لارتباط التماسيح بالنيل، كما أن هناك علاقة بين الماء والحيوان المقدس للمعبودة "عنقت"، وهو نوع من "التياتل" (من فصيلة الغزلان).

وهكذا كانت هذه المعبودات ورموزها مستوحاةً من البيئة المصرية ومرتبطة بالمياه بصفة عامة، وبالنيل وفيضانه بصفة خاصة، وكانت مرتبطة بالخصوبة نظراً لأهمية الفيضان لخصوبة الأرض. ونجد من العصر المتأخر مصطلحاً آخر للفيضان، هو "هبة الثور"، يعبر أيضاً عن الخصب والخصوبة.

كما يلاحظ أيضاً أن غالبية هذه المعبودات قد عُبدت في منطقة الشلال الأول والجزر المحيطة به، والتى كانت تمثل منابع النيل فى نظر المصرى القديم فى العصور المبكرة، وعُبدت أيــضاً فى الأماكن التى كان بها مقاييس لقياس فيضان النيل، وهكذا ارتبطت أماكن عبادتها بالنيل.